# ٥٠ هَؤُلاءِ يُحبهم اللَّهُ

عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ:

«إنَّ اللهَ تبَارَكَ وتعَالَى إذَا أَحبَّ عبْداً نَادَى جبْريل: إنَّ اللهَ قَدْ أَحبَّ فُلاَناً فَأحبِّه. فَيُحبه جِبْريلُ، ثُمَّ يُنادِي جبْريلُ فى السَّماءِ:

إنَّ اللهَ قَدْ أَحبَّ فُلاَناً فَأحبُّوهُ. فَيُحبُّه أَهْلُ السَّماءِ وَيُوضَعُ لَهُ القَبُولُ فِى أَهْلِ الأَرْضِ» (١).

يقول الحق سبحانه وتعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾﴾ {مريم}

أى: سيجعل لهم مودة ومحبة تقوم على الإيمان، وتقود إلى شدة التعلُّق، وقد جعل الحق سبحانه فى كَوْنه أسباباً لهذه المحبة والمودة، كأنْ ترى إنساناً يُحبك ويتودّد إليك، فساعةَ تراه مُقْبلاً عليك تقوم له وتبشُّ فى وجهه، وتفسح له فى المجلس، ثم تسأل عنه إنْ غاب، وتعودُه إنْ مرض، وتشاركه الأفراح، وتواسيه فى الأحزان، وتؤازره عند الشدائد. فهذه المودة ناشئة عن حُبٍّ ومودة سابقة.

وقد تنشأ المودة بسبب القرابة أو المصالح المتبادلة أو الصداقة، فهذه أسباب المودة فى الدنيا بين الخَلْق جميعاً، مؤمنهم وكافرهم.

أما هنا: ﴿سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾﴾ {مريم}

(١) أخرجه أحمد فى مسنده (٢/ ٥١٤) والبخارى فى صحيحه (٣٢٠٩، ٦٠٤٠، ٧٤٨٥) ومسلم فى صحيحه (٢٦٣٧) والترمذى فى سننه (٥/ ٣١٦١) من حديث أبى هريرة رضي الله عنه.

أى : بدون سبب من أسباب المودة هذه ، مودة بدون قرابة ، وبدون مصالح مشتركة أو صداقة ، وهذه المودة بين الذين آمنوا ، كأن ترى شخصاً لأول مرة فتشعر نحوه بارتياح كأنك تعرفه ، وتقول له: إنِّى أحبك لله.

هذه محبة جعلها الله بين المؤمنين ، فَضْلاً منه سبحانه وتكرُّماً ، لا بسبب من أسباب المودة المعروفة.

لذلك قال هرم بن حيان [1] : إن الحق تبارك وتعالى حين يرى عبده المؤمن قد أقبل عليه بقلبه وأسكنه فيه ، وأبعد عن قلبه الأغيار ، وسلَّم قلبه وهو أسمى ما يملك من مستودعات العقائد وينبوع الصالحات وقدَّمه لربه فتح له قلوب المؤمنين جميعاً [2].

كما جاء فى الحديث القدسى:«ما أقبل علىّ عبد بقلبه إلا أقبلتُ عليه بقلوب المؤمنين جميعاً»[3] أى : بالمودة والرحمة دون أسباب.

وكذلك الحديث الذى معنا «إن الله إذا أحبَّ عبداً نادى فى السماء: إننى أحببتُ فلاناً فأحِبُّوه ، وينادى جبريلُ فى الأرض: إن الله أحبَّ فلاناً فأحبوه ، ويُوضَع له القبول فى الأرض».

فيحبه كل مَنْ رآه عطيةً من الله وفَضْلاً ، دون سبب من أسباب المودة ،

---

(١) هو : هرم بن حيان العبدى ، كان عاملاً لعمر بن الخطاب ، مات فى يوم شديد الحر ، فلما نفضوا أيديهم عن قبره جاءت سحابة فأمطرت ونبت العشب من يومه.

(٢) قال القرطبى فى تفسيره (٦/ ٤٣٣٣) :«كان هرم بن حيان يقول : ما أقبل أحد بقلبه على الله تعالى إلا أقبل الله تعالى بقلوب أهل الإيمان إليه ، حتى يرزقه مودتهم ورحمتهم».

(٣) أورد الهيثمى فى مجمع الزوائد (١٠/ ٢٤٧) عن أبى الدرداء ﷺ قال قال رسول الله ﷺ : «تفرغوا من هموم الدنيا ما استطعتم ، فإنه من كانت الدنيا أكبر همه أفشى الله ضيعته وجعل فقره بين عينيه .. وما أقبل عبد بقلبه إلى الله إلا جعل الله قلوب المؤمنين تفد إليه بالود والرحمة ، وكان الله بكل خير إليه أسرع» رواه الطبرانى فى الكبير والأوسط وفيه محمد بن سعيد بن حسان المصلوب وهو كذاب.

وإنْ كنتَ قد تبرعتَ لله تعالى بما تملك وهو قلبك مستودع العقائد وينبوع الصالحات كلها ، فإنه تعالى وهبَ لك ما يملك من قلوب الناس جميعاً ، فهى فى يده تعالى يُوجِّهها كيف يشاء.

والحق تبارك وتعالى من أسمائه «الودود».

قال تعالى :﴿ وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴿٩٠﴾ ﴾ [هود]

والوُدُّ هو الحبُّ ، والحبُّ يقتضى العطف على قَدْر حاجة المعطوف عليه.

ولله المثَل الأعلى: نرى الأم ولها ولدان: أولهما قادر ثرى يأتى لها بما تريد ، وثانيهما ضعيف فقير ، فنجد قلب الأم ـ دائماً ـ مع هذا الضعيف الفقير ، وتُحنِّن قلب القوى القادر على الفقير الضعيف.

ونجد المرأة العربية القديمة تجيب على مَنْ سألها: أىّ أبنائك أحبّ إليك؟ فتقول : الصغير حتى يكبر ، والغائب حتى يعود ، والمريض حتى يشفى

إذن: فالحبُّ يقتضى العطف على قَدْر الحاجة.

ويقول الحق سبحانه فى الحديث القدسى :

«يا بْنَ آدمَ ، لا تخافَنَّ من ذِى سُلْطان ، ما دام سُلْطانى باقياً ، وسلطانى لا ينفد أبداً.

يا بْنَ آدمَ ، لا تخْشَ من ضيق رِزْقٍ ، وخزائنى ملآنة ، وخزائنى لا تنفدُ أبداً.

يا بْنَ آدمَ ، خلقتُكَ للعبادة ، فلا تلعبْ ، وضمنتُ لك رزقكَ فلا تتعبْ ، فوعزتى وجلالى إنْ رضيتَ بما قسمتُه لك أرَحْتُ قلبك وبدنك ، وكنتَ عندى محموداً ، وإنْ أنت لم تَرْضَ بما قسمتُه لك ، فوعزَّتى وجلالى لأُسلِّطن

عليك الدنيا ، تركض فيها ركْضَ الوحوش فى البرية ، ثم لا يكون لك منها إلا ما قسمتُه لك.

يا بْنَ آدمَ ، خلقْتُ السماواتِ والأرضَ ولم أَعْىَ بخَلْقِهن ، أَيُعيينى رغيفُ عَيْشٍ أسوقُه لك؟

يا بْنَ آدمَ ، لا تسألنى رِزْقَ غَدٍ كما لم أطلُبْ منك عَمَلَ غَدٍ.

يا بْنَ آدمَ ، أنَا لكَ مُحِبٌّ فَبِحقِّى عليك كُنْ لِى مُحباً».

والحب هو مَيْل قلب المحب إلى المحبوب ، وذلك الأمر يكون بالنسبة للبشر ، لكن بالنسبة للحق سبحانه هـ تودُّد الخالق بالرحمة والكرامة على المخلوق.

فحبُّ الله لعبده يتوقف على أن يعرف العبد نعمته سبحانه فى التكليف ، أن الله يحب العبد الذى يعرف قيمة النعمة فى التكليف.

ودليل صِدْق الحب هو قيام العبد بالتكليف ، وما دُمْتَ أنت قد عبَّرت عن صِدْق عواطفك بحبك لله ، فلا بُدَّ أنْ يحبك الله ، وكُلٌّ مِنَّا يعرف أن حُبَّه لله لا يُقدِّم ولا يُؤخِّر ، لكن حُبَّ الله لك يُقدِّم ويُؤخِّر.

إنك قد تحب الله ، ولكن عليك أن تلاحظ الفرق بين أن تحب أنت الله ، وأنْ يحبك الله ، إن التكليف قد يبدو شاقاً عليك فتهمل التكليف ؛ لذلك نقول لك: لا يكفى أن تحب الله لنعمة إيجاده وإمداده ؛ لأنك بذلك تكون أهملتَ نعمة تكليفه التى تعود عليك بالخير.

إن نعمة التكليف تعود عليك بكل الخير عندما تؤديها أيها الإنسان فلا تهملها.

وقد فصَّل لنا الحق ـ سبحانه وتعالى ـ أصناف المؤمنين الذين يحبهم الله.

## الله يحب المحسنين:

الحق ـ سبحانه وتعالى ـ يحب من عباده أن يكونوا على خُلقه ، فكما أن الله أحسن كل شيء خَلَقه يريد من عباده وقد تفضلَّ عليهم بالعقل المفكر فيخطط ، وبالطاقات فتبرز التفكير إلى عمل ، يريد الحق منَّا أن يكون رائدنا فى كل عمل أنْ نحسنه ، حتى نكون متُخلِّقين بأخلاق الله.

يقول الحق سبحانه : ﴿ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (١٩٥) ﴾ [البقرة]

والإحسان كما علَّمنا رسول الله ﷺ :«أن تعبد الله ـ أى تطيع أوامره ـ كأنك تراه ، فإن لم تكُنْ تراه فإن يراك» (١) .

مشكلة الناس هذه الأيام أنهم يتشبهون بـ «فإنه يراك» فعملوا الدوائر التليفزيونية المغلقة فى المحلات الكبرى حتى تتم مراقبة سير العمل فى أرجاء المحل ، هذا فعل البشر ، لكن انظر إلى تسامى الإيمان ، إنه يأمرك أنت أن ترى الله ، فلا تؤد العمل أداء شكلياً يرفع عنك العتب ، بل عليك أن تؤدى العمل بقصد الإحسان فى العمل (٢).

والإحسان فى كل شيء هو إتقانه إتقاناً ، بحيث يصنع الإنسان لغيره

(١) حديث متفق عليه أخرجه البخارى فى صحيحه (٥٠) ، وكذا مسلم فى صحيحه (٩) كتاب الإيمان من حديث أبى هريرة ﷺ وهو حديث جبريل الذى قال عنه ﷺ فى هذا الحديث :«هذا جبريل جاء يعلم الناس دينهم».

(٢) قال النووى : هذا القدر من الحديث أصل عظيم من أصول الدين وقاعدة مهمة من قواعد المسلمين، وهو عمدة الصديقين وبغية السالكين وكنز العارفين ودأب الصالحين ، وهو من جوامع الكلم التى أوتيها ﷺ ، وقد ندب أهل التحقيق إلى مجالسة الصالحين ليكون ذلك مانعا من التلبس بشيء من النقائص احتراماً لهم واستحياء منهم ، فكيف بمن لا يزال الله مطلعاً عليه فى سره وعلانيته؟ نقله ابن حجر العسقلانى فى فتح البارى (١/ ١٢٠) .

ما يحب أن يصنعه غيره له ، ولو تعامل الناسُ على هذا الأساس لامتازتْ كل الصناعات ، لكن إذا ساد الغِشّ فأنت تغشُّ غيرك ، وغيرك يغشُّك ، وبعد ذلك كلنا نجأر بالشكوى.

علينا إذن أنْ نُحسِن في كل شيء ، مثلاً نُحسِن في الإنفاق ، ولن نحسن في الإنفاق إلا إذا أحسنَّا في الكَدْح الذي يأتي بثمرة ما ننفق؛ لأن الكدح ثمرته مال ، ولا إنفاقَ إلا بمال . فتخرج من عائد كدْحك لتصرِفَه في المناسب من الأمور.

ودائرة الإحسان لا تقتصر على الإنفاق فقط ، فالأمر هنا عام ، ولا تعتقد أنه أمر في زاوية من زوايا الدين جاءت لتخدم جزئية من جزئيات الحياة ، إنما كل زاوية من زوايا الدين جاءت لتخدم كل جزئيات الحياة ، فالإحسان إذا كان بالمال فهذا يقتضي أنْ يُحسن الإنسان الحركة في الأرض ، ويعمل عملاً يكفيه ويكفي مَنْ يعول ، ثم يفيض لديه ما يُحسِن به.

فوجوه الإحسان في الأشياء كثيرة ، وكلها تخدم قضية الإيمان ، وعندما يرى الكافر المؤمنين ، وكل واحد منهم يُحسِن عمله ، فإن ذلك يُغريه بالإيمان.

وإذا سألنا: ما الذي زَهَّد دنيانا المعاصرة في ديننا؟

فسوف نجد أن العالم ينظر إلى دين الله من خلال حركة المسلمين ، وهي حركة غير إسلامية في غالبيتها . صحيح أن بعضاً من عقلاء الغرب وفلاسفته لا يأخذون الدين من حركة المسلمين ، وهذا منتهى العدالة منهم؛ لأنه ربما كان بعض المسلمين غَيْرَ ملتزم بدينه ، فلا يأخذ أحدٌ الإسلام منه لمجرد أنه مسلم.

وأتباع الديانات الأخرى يعرفون أن هناك أفعالاً جرَّمها دينهم ، ومادام هناك أفعال جرَّمها الدين وسَنَّ لها عقوبة ، فذلك دليل على أنها قد تقع ، فأنت عندما ترى شخصاً ينتسب إلى الإسلام ويسرق ، هل تقول: إن المسلمين لصوص. لا ، إن عليك أن تنظر إلى تشريعات الإسلام ، هل جرَّمت السارق أو لم تجرمه ؟

فلا يقولن أحد: انظر إلى حال المسلمين ، ولكن لننظر إلى قوانين الإسلام؛ لأن الله قدَّر على البشر أن يقوموا بالأفعال حَسنها وسيئها ؛ ولذلك أثاب على العمل الصالح وعاقب على العمل السيء.

والعقلاء والمفكرون يأخذون الدين من مبادىء الدين نفسه ، ولا يأخذونه من سلوك الناس ، فقد يجوز أن تقع عَيْن المراقب على مُخالف فى مسألة يُحرِّمها الدين ، فلا تأخذ الفعلَ الخاطىء على أنه الإسلام ، وإنما خُذْه على أنه خارج على الإسلام.

وساعةَ يرانا العالم محسنين فى كل شيء فنحن نعطيهم الأسوة التى كان عليها أجدادنا ، وجعلتْ الإسلام يمتدّ ذلك المدّ الخرافى الأسطورى حتى وصل فى نصف قرن إلى آخر الدنيا فى الشرق ، وإلى آخرها فى الغرب ، وبعد ذلك ينحسر سياسياً عن الأرض ، ولكن يظل كدين ، وبقى من الإسلام هذا النظام الذى يجذب له الناس.

إن الإسلام له مناعة فى خميرته الذاتية ، إنه يحمل مقومات بقائه وصلاحيته ، وهو الذى يجذب غير المسلمين له فيؤمنون به ، وليس المسلمون هم الذين يجذبون الناس للإسلام.

ولذلك أقول: لو أن التمثيل السياسى للأمم الإسلامية فى البلاد غير الإسلامية المتحضرة قد أخذ بمبادىء الإسلام لكان أُسْوة حسنة.

إذن: الإحسان من المسلمين أكبر دعاية ودعوة إلى دين الإسلام.

ولو علم الذين لا يُحسنون أعمالهم ، بماذا يحرمون الوجود لتحسَّروا على أنفسهم ، ولَيْتَهم يحرمون الوجود من كلمة «الله» ، ولكنهم يجعلون مكان «الله» كلمة خبيثة ، فيشيعون القُبْح فى الوجود ، وحين يشيع القبح فى الوجود يكون الإنسانُ فى عمومه هو الخاسر.

ويعطينا الحق سبحانه جانباً آخر من الإحسان ، فيقول:

﴿ **الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ(١٣٤)** ﴾ {آل عمران}

فالحق ـ سبحانه وتعالى ـ يبيح أن ترد الاعتداء بالمثل ، ثم يُفسح المجال لنكظم الغيظ فلا نعتدى ، ولكن يظل السبب فى القلب ، ثم يرتقى بنا مرحلة أخرى إلى العفو وأن نُخرج المسألة من قلوبنا ، ثم يترقى ارتقاءً آخر ، فيقول سبحانه: ﴿ **وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ(١٣٤)** ﴾ {آل عمران}

ومَنْ فينا غير راغب فى حب الله؟

وعملية الإحسان مع المسىء أو المعتدى: أهى عملية منطقية مع النفس الإنسانية ؟ قد تكون غير منطقية مع النفس الإنسانية ، ولكنك أيها الإنسان لا تُشرِّع لنفسك ، إنما الذى يُشَرّع لك هو الأعلى من النفس الإنسانية.

والخالق يقول: لو علمتَ ما قدمه لك مَنْ أساء إليك لأحسنتَ إليه؛ لأنك إنْ أسأتَ إلى خَلْق من خَلْق الله ، فالذى يثأر ، ويأخذ الحق لمن أُسِىء إليه هو رَبُّ هذا المخلوق ، ويأتى الله فى صَفِّ الذى تحمَّل الإساءة.

إذن : فإساءةُ العدو لك جعلَت اللهَ فى صَفِّك وفى جانبك ، أَلاَ يستحق ذلك المسىء أنْ تشكره؟ أَلاَ تقول لنفسك القول المأثور: أَلاَ تُحسِن إلى مَنْ جعل الله فى جانبك.

والإحسان أن تفعل شيئاً فوق ما افترضه الله ، ولكن من جنس ما افترضه الله ، والمحسن الذى يدخل فى مقام الإحسان هو مَنْ يعبد الله كأنه يراه ، فإنْ لم يكن يراه فهو ـ سبحانه وتعالى ـ يرى كل خَلْقه.

ونحن نعرف قَوْل الحق سبحانه وتعالى:

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾﴾ {الذاريات}

ما الذى جاء بالإحسان هنا؟

وتكون الإجابة :﴿ كَانُوا قَلِيلاً مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ(١) ﴿١٧﴾﴾ {الذاريات}

وهل يُكلِّف الله خَلْقه ألاَّ يهجعوا إلا قليلاً من الليل ؟ لا ، فقد كلَّف الله المسلمَ بالصلاة ، وأعلمه بأنه حُرٌّ بعد صلاة العشاء ، وله الحق أن ينام إلى الفجر ، فإنْ سَمِع أذان الفجر فليقُمْ إلى صلاة الفجر ، لكن المحسن يريد الارتقاء بإيمانه ، فيزيد من صلواته فى الليل.

ويضيف الحق سبحانه مُذكِّراً لنا بصفات المحسنين:

﴿وَبِالأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾﴾ {الذاريات}

أكلَّف الله الخَلْق بأنْ يستغفروا بالأسحار؟ لا ، بل إن الرسول يجيب على رجل سأله عن الفروض الأساسية المطلوبة منه ، فذكر له أركان الإسلام ، ومن بينها الصلوات الخمس المكتوبة ، فقال الرجل : والله لا أزيدُ على هذا ولا أنقص ، فقال الرسول ﷺ :«أفلح إن صدق» (٢).

(١) الهجوع: النوم ليلاً . (القاموس القويم ٢/ ٢٩٨) .

(٢) عن طلحة بن عبيد الله قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ من أهل نجد ثائر الرأس نسمع دوى صوته ولا نفقه ما يقول حتى دنا من رسول الله ﷺ فإذا هو يسأل عن الإسلام فقال رسول الله ﷺ : خمس صلوات فى اليوم والليلة. فقال : هل علىَّ غيرهن؟ قال: لا ، إلا أن تطوع وصيام =

ويضيف الحق سبحانه فى استكمال صفات المحسنين :

﴿وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴿١٩﴾﴾ {الذاريات}

ونلحظ أن الحق هنا لم يَقُلْ «حَقٌّ معلوم» إنما قال: «حَقٌّ للسائل والمحروم» فالحقُّ المعلوم هو الزكاة ، أما المحسن فللسائل والمحروم فى ماله حَقٌّ غَيْر معلوم ، وذلك ليُفْسِح سبحانه لمجال للطموحات الإيمانية ، فمَنْ يزِدْ فى العطاء فله رصيد عند الله.

فالإحسان كما نعلم له وجهان:

**الوجه الأول**: أن يعبد المؤمن اللهَ كأنه يراه ، وكلما جاء تكليف يُحسِن المؤمن فى أدائه ، كأنه يرى الله ، وإنْ لم يكن يراه فإنه يُحِسُّ أنه سبحانه يراه ، وإذا ما استوعب المسلم كُلَّ أحكام الله التى استوعبتْ بدورها كُلَّ أقضية الحياة ، فهو يُحسن أداء هذه الأحكام.

**الوجه الثانى:** أن يزيد المؤمن فى أداء هذه التكاليف فوق ما فرض الله ، وهى النوافل ، وبذلك لا يكتفى المؤمن بتصديق الأحكام التى نزلت ، بل يزيد من جنسها.

إذن : فالمحسن هو من عشق التكليف من الله وعرف منزلة القرب من الله ، فوجد أن الله قد كلَّفه دون ما يستحق سبحانه منّا ، فزاد من العمل الذى يزيده قُرْباً من الله.

---

= شهر رمضان ، فقال : هل علىّ غيره؟ فقال : لا إلا أن تطوع وذكر له رسول الله ﷺ الزكاة فقال: هل علىَّ غيرها؟ قال لا إلا أن تطوع . قال: فأدبر الرجل وهو يقول: والله لا أزيد على هذا ولا أنقص منه. فقال رسول الله ﷺ : أفلح إن صدق . أخرجه مسلم فى صحيحه (١١) كتاب الإيمان ، والبخارى فى صحيحه (٤٦ ، ١٨٩١)

## الله يحب التوابين:

الله يحب التوبة من عباده ، وهو سبحانه أفرَحُ بتوبة عبده المؤمن من أحدكم وقع على بعيره ، وقد أضلَّه فى فلاة ؛ لأن المعصية عندما تأخذ الإنسان من منهج الله لتعطيه نَفْعاً عاجلاً ، فإن حلاوة الإيمان ـ إنْ كان مؤمناً ـ ستجذبه مرة أخرى إلى الإيمان بعيداً عن المعاصى.

إن الإنسان حين يُذنب ذنْباً ينفلت من قضية الإيمان ، ولو لم تشرع التوبة والعفو من الله لَزادَ الناس فى معاصيهم وغَرقوا فيها ؛ لأنه إذا لم تكُنْ هناك توبة ، وكان الذنب الواحد يُؤدِّى إلى النار ، والعقاب سينال الإنسانَ فإنه يتمادى فى المعصية ، وهذا ما لا يريده الله سبحانه وتعالى لعباده.

وفى حديث رسول الله ﷺ :

«لله أفرح بتوبة عبده من أحدكم سقط على بعيره وقد أضله فى أرض فلاة» (١) .

معنى حديث رسول الله ﷺ : رجل معه بعير يحمل ماله وطعامه شرابه وكل ما يملكه ، هذا البعير ضَلَّ فى صحراء جرداء ، بحث عنه صاحبه فلم يجده ، لقد فقده وفقد معه كل مُقوِّمات حياته ، ثم ينظر فيراه أمامه ، كيف تكون فرحته؟ طبعاً ستكون فرحته بلا حدود . هكذا تكون فَرْحة الله تعالى بتوبة عبده المؤمن ، بل أشدّ من ذلك.

وقد قال الحق سبحانه فى الحديث القدسى:

«يَا بْنَ آدمَ ، إنك ما دعوْتَنى ورجَوْتَنى غفرتُ لك على ما كان منك ولا أُبالى.

(١) أخرجه البخارى فى صحيحه (٦٣٠٩) عن عبدالله بن مسعود ، وكذا مسلم فى صحيحه (٢٧٤٧) عن أنس بن مالك.

يَا بْن آدمَ ، لَوْ بلغَتْ ذُنُوبُك عَنانَ السَّماءِ ثُمّ اسْتغْفرتَنى غَفرتُ لَكَ ولاَ أُبَالِى.

يا بْنَ آدمَ ، إنك لو أتيتَنى بقُراب الأرض خَطَايا ثم لَقِيتَنى لا تُشرك بى شيئاً لأتيتُكَ بقُرابِها مَغْفرةً»(١).

والتوبة رحمة من الخالق سبحانه ينعم بها على مَنْ يشاء من عباده ، هذه الرحمة قريبة من المحسنين ، كما قال تعالى :

﴿ إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾ {الأعراف}

ولكن ، مَن الذى يُحدِّد قُرْب الرحمة منه؟

إنه الإنسان ، فإذا أحسن قَرُبَتْ منه الرحمة ، والزمام فى يد الإنسان ؛ لأن الله لا يفتئتُ ولا يستبدّ بأحد ، فإنْ كنتَ تريد أن تقرب منك رحمة الله فعليكَ بالإحسَان.

ولذلك قُلْنَا: إن الحق ـ سبحانه وتعالى ـ يقول: «لا أملّ حتى تملوا» .

وأنت تدخل بيوت الله تصلى فى أى وقت ، وتقف فى أى مكان لتؤدى الصلاة. إذن :فاستحضارك أمام ربك فى يدك أنت ، وسبحانه حدد لك خمسة أوقات ، ولكن بقية الأوقات كلها فى يدك ، وتستطيع أن تقف بين يدى الله فى أى لحظة وتتوب إليه وتستغفره.

وسبحانه يقول:«ومَنْ جاءنى يمشى أتيته هَرْولة»

وهو جَلَّ وعلا يوضح لك: استرح أنت وسآتى لك أنا ؛ لأن الجرى قد يُتعبك ، لكنى لا يعترينى تَعَبٌ ولا عىٌ ولا عجز ، وكأن الحق لايطلب من العبد إلا أنْ يملك شعوراً بأنه يريد لقاء ربه.

إذن: فالمسألة كلها فى يدك.

---

(١) أخرجه أحمد فى مسنده (٥/ ١٥٤) والترمذى فى سننه (٣٥٤٠) والدارمى فى سننه (٢/ ٣٢٢) من حديث أبى ذر الغفارى رضي الله عنه.

## الله يحب المتقين:

يقول الحق سبحانه:

﴿بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ وَاتَّقَىٰ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ(٧٦)﴾ {آل عمران}

قد يفهم البعض هذا القول بأن مَنْ أوفى بعهده الإيمانى واتقى الله فى أنْ يجعل كُلَّ حركاته مطابقة لـ «افعل» و«لا تفعل» فإن الله يحبه ، هذا هو المعنى الذى قد يُفهم للوَهْلة الأولى ، لكن الله لم يقُلْ ذلك. إن الحب لا يرجع إلى الذات ، بل يرجع إلى العمل.

لقد قال الحق سبحانه:﴿ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ (٧٦) ﴾ {آل عمران}

إن الإنسان قد يخطىء ويقول:«لقد أحبنى الله ، وسأفعل من بعد ذلك ، ما يحلُو لى» ونحن نُذكِّر صاحب هذا القول بأن الله يحب العمل الصالح الذى يؤديه العبد بنيّة خالصة لله ، وليس للذات أىُّ قيمة.

لذلك قال:

﴿مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ وَاتَّقَىٰ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ (٧٦) ﴾ {آل عمران}

إن الذين أوفى بعهده واتقى سيحب الله فيه التقوى ، وإياك أنْ تفهمَ أن الحب من الله للعبد سيصبح حُباً ذاتياً ، لكنه حُبٌّ لوجود الوصف فيه ، فاحرص على أن يكون الوصف لك دائماً ، لتظل فى محبوبية الله.

والمتقون هم الذين يجعلون بينهم وبين أىِّ شىء يُغضب الله وقايةً ، وإن تعجَّب بعض الناس من قوْل الحق سبحانه وتعالى ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ(١٩٤)﴾(البقرة) وقوله ﴿ فَاتَّقُوا النَّارَ(٢٤)﴾(البقرة) فإننا نقول : إن معنى «اتقوا الله» أى : اجعلوا بينكم وبين صفات الجبروت لله وقاية ، اتقوا صفات الجبروت فى الله حتى لا يصيبكم عذابه ، فلله صفاتُ جلال منها: المنتقم والجبار. والقهّار ، وله صفات جمال مثل: الرحيم والوهّاب والرزّاق والفتّاح.

إذن: اجعلوا بينكم وبين صفات الجلال فى الله وقايةً لكم ، وحمايةً من أنْ تتعرَّضوا لغضب الله تعالى ، والإنسان يتقى صفات الجلال فى الله بأن يتبع منهجه ويُطيعه فى كل ما أمر به ؛ لينال من فَيْض صفات الجمال.

وقولُ الحق سبحانه وتعالى:﴿ فَاتَّقُوا النَّارَ ﴾(البقرة) أى: اجعلوا بينكم وبين النار وقاية حتى لا تمسّكم النار.

والمتقى هو الطائع لله فيما أمر وفيما نهى ، ويجعل بينه وبين صفات الجلال من الله وقاية.

## الله يحب الصابرين:

الصبر هو مَنْع النفس من الجزع من أىِّ شىء يحدث وهو يأخذ ألواناً شتى حَسْب تسامى الناس فى العبادة : فمثلاً سُئِلَ الإمام على ـ رضي الله عنه ـ عن حَقِّ الجار؟ قال : تعلمون أنك لا تؤذيه؟ قالوا: نعم قال: وأن تصبر على أذاه.. فكأنه ليس مطلوباً منك فقط ألاَّ تؤذى جارك ، بل وتصبر على أذاه.. والصبر هو الذى يعينك على أن تفعل ما أمرك الله به ، ولا تفعل ما نهاك الله عنه.

إن الله منعك من أشياء هى من شهوات النفس ، وأمرك بأشياء فيها مشقة ، وهذه محتاجة إلى الصبر ، وأنت إنْ أخذتَ منهج الله تعبُّداً ستأخذه فيما بعد عادة.

يقول أحد الصالحين فى دعائه: اللهم إنى أسألك ألاَّ تكلنى إلى نفسى ، فإنى أخشى يارب ألاَّ تثيبنى على الطاعة ؛ لأننى أصبحت أشتهيها.

فسبحانك أمرتنا أن نحارب شهواتنا.. انظر إلى الطاعة من كثرة حُبِّ الله أصبحت مرغوبة مُحبَّبة إلى النفس.

والحق سبحانه يقول:﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ {البقرة}

أى: أنه يطلب منك أن تواجه الحياة فى معية الله ، فأنت لو واجهتَ المشكلات فى معيّة مَنْ تثق فى قوته تواجه الأمور بشجاعة ، فما بالك إذا كنت فى معية الله ، وكل شىء فى الوجود خاضع لله ، أيجرؤ شىء أن يقف أمامك وأنت مع الله؟

إن الأحداث لا تملأ الخَلْق بالفزع والهلع إلا ساعة الانفلات من حضانة ربهم ، وأما مَنْ يعيش فى حضانة ربه فلا يجرؤ عليه الشيطان ، فالشيطان خنَّاس ، فإذا سهوْتَ عن الله اجترأ عليك ، وإذا ذكرتَ الله خنسَ وضَعُفَ ، فهو لا قوةَ له ، وهو لا يدخل مع الله سبحانه وتعالى فى معركة ، وإنما يدخل مع خَلْق الله الذين ينسَونَ الله ويبتعدون عنه.

وما دام الله ـ سبحانه وتعالى ـ مع الصابرين فلا بُدَّ أن نعشق الصبر ، وكيف لا نعشق ما يجعل الله معنا؟

يقول الحق ـ جَلَّ جلاله ـ فى الحديث القدسى :

«يا بْنَ آدم ، مرضتَ فلم تَعُدْنى. قال: ياربّ وكيف أعودك وأنت رَبُّ العالمين؟ قال: أما علمتَ أن عبدى فلاناً مرض فلم تَعُدْهُ؟ أما علمتَ أنه لو عُدْتَهُ لوجدتنى عنده» (١).

يقول بعض الصالحين: اللهم إنى أستحى أنْ أسألك الشفاء والعافية حتى لا يكون ذلك زُهْداً فى معيتى لك. إذن : لا بُدَّ أنْ نعشق الصبر؛ لأنه يجعلنا دائماً فى معية الله.

ويقول الحق سبحانه :﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٢٠٠)**﴾ {آل عمران}

(١) أخرجه مسلم فى صحيحه (٢٥٦٩) من حديث أبى هريرة رضي الله عنه.

وما دام سبحانه يقول: اصبروا ، فلا بُدَّ أن يكون هذا إيذاناً بأن فيه مشقةً ، فالإيمان يؤدى إلى الجنة ، والجنة محفوفة بالمكاره ، لذلك لا بُدّ أنْ تكون فيه مشقات.

وإذا نظرت إلى تلك المشقات تجدها فى ذات النفس منفصلة عن المجتمع تارة ، وتجدها فى ذات النفس مع المجتمع تارة أخرى ، أما فى ذات النفس مفصولةً عن المجتمع فإن الصبر يقتضى أنْ تصبر على تنفيذ أمر الله فى فِعْل الطاعات ، وعلى تحمُّل الألم منه فى تَرْك المعاصى ، وإنْ كان ذلك يمنعك عن لذة شهوة تحبها ، فإنك تصبر عن تلك الشهوة التى تُلِحّ عليك.

فمجاهدة المؤمن أنْ يصبر عن الشهوات التى نهى الله عنها ، والأشياء التى تصيب الإنسان يصبر عليها ، فالمصيبة فى النفس يصبر عليها ، والأشياء التى يصبر عنها من النواهى هى الشهوات والمتع التى يُحرِّمها الله.

وكأن الحق ـ سبحانه وتعالى ـ يقول : إننى خلقتُك ، وأعلم منازعة نفسك إلى الشهوة ؛ لأنك تحبها فاصبر عنها ، والأمور التى فى الطاعة إنْ فعلتها ستُورثك مشقةً فى ذاتك ، اصبر عليها.

إذن: ففى الأوامر صَبْر على تنفيذها ، وفى المناهى صَبْر عن إيقاعها ، هذه كلها فى الذات ، أما إذا تعدَّتْ المسألة من الذاتية إلى المحيط الخارجى فالحق سبحانه يقول:﴿ **وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ (١٧٧)**﴾ [البقرة]

## الله يحب المتوكلين:

إياك أن تظن أن التوكل يعنى أن تترك الجوارح بلا عمل ، فهذا هو التواكل أو الكسل ، إنه التوكُّل الكاذب ، والدليل على كذب مَنْ يقول ذلك أنه يحب أنْ يتوكّل فيما فيه مشقة ، والسهل لا يُتوكّل فيه.

ونقول للرجل الذى يدَّعى أنه يتوكّل ولا يعمل: أنت لستَ مُتوكّلاً ، ولو كنتَ صادقاً فى التوكل إياك أنْ تمدَّ يدك إلى لُقْمة وتضعها فى فمك ، كُنْ مُتوكِّلاً كما تدعى ، ودَعِ التوكلَ يضع لك اللقمة فى فمك ، واترك التوكل ليمضغها لك.

وطبعاً لن يفعل ذلك ، ولهذا نقول له أيضاً: إن ادعاءك التوكل هو بلادةُ حِسٍّ إيمانى ، وليس توكلاً.

والتوكل يقتضى إظهار عجز ، فمعنى أنى أتوكل على الله أننى استنفدت أسبابى ؛ ولذلك أرجع إلى مَنْ عنده قدرة وليس عنده عجز ، وهذا هو التوكل المطلق.

فالتوكل معناه: تسليمك زمام أمورك إلى الحق ، ثقةً بحُسْن تدبيره ، ومن تدبيره أنْ أعطاك الأسباب فلا تردّ يد الله الممدودة بالأسباب ، والذى لا يتوكل على الله عليه أنْ يراجع إيمانه.

والحق سبحانه يقول﴿ **إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾**﴾ {الأنفال}

أى: أنهم يَكلُون أمورهم على مَنْ ائتمنوه على مصالحهم ، وهو الحق ـ سبحانه وتعالى ـ القادر العظيم الذى خلق الكون ، وخلق فيه أسباباً تؤدى إلى مُسبِّبات الأسباب مقدمة ، والمسببات هى النتيجة ، وبعد ذلك ترك أموراً ليس فيها أسباب ، إلا أن نلحظ دائماً المسبب وهو الله تعالى ، فكل أمر يعزّ عليك فى أسبابه ، إياك أن تيأس من أنه لا يحدث.

بل قُلْ: تلك هى قضية الأسباب ، أما أنا فلى رَبٌّ خلق الأسباب ، وهو القادر فوق كل الأسباب.

## الله يحب المقسطين:

إن الله يحب الذين يزيلون الجوْر ، ومادام الحكم بالعدل يأتى ليزيل الجور ، فكأنه كان من قبل جَوْراً مقنناً. إذن: فأقسط أى أزال جَوْراً مُقنّناً ، وأعاد توازن الميزان ليعود الانسجام بين لإنسان والكون ، والكون كله يسير بميزان ، الأرض تدور ، والشمس تؤدى مهمتها ، ولا كوكب يصطدم بكوكب آخر.

﴿ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾﴾ {يس}

فإنْ أردتُمْ أن تستقيم لكم أموركم الاختيارية ، فانظروا إلى الأمور الإجبارية التى حولكم ، فإنْ كانت بنظام وميزان واعتدلتْ الأمور. اعدلوا ـ إذن ـ فى إدارة شئونكم حتى تنسجموا كما انسجم الكون.

ولذلك نقرأ قوله تعالى: ﴿ **الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ﴿٥﴾ وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ﴿٦﴾ وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ﴿٧﴾ أَلاَّ تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ﴿٨﴾**﴾ {الرحمن}

أمامكم الموازين العُليا فى الكون ولا تستطيعون إفسادها ؛ لأنها تسير بنظام لا دَخْلَ لكم به ؛ لذلك عليكم أنْ تتعلّموا منها ، وأن تدبروا أمور حياتكم بميزان حتى تستقيم أموركم الاختيارية.

﴿**وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ ﴿٩﴾**﴾ {الرحمن}

فإنْ رأيتَ حولك كَوْناً غير مضطرب وغير متصادم ، ويؤدى حركته دون تعارض أو تصادم ، فافهم أنه قائم على ميزان الحق ، ووضع سبحانه لك ميزاناً فى الأمور الاختيارية والمرجحات الاختيارية هى أحكام التكليف من الله ، فإنْ أردتَ أنْ تستقيم لك الأمور الاختيارية فسِرْ بها على الميزان الذى وضعه الله.

﴿ وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾(المائدة)

أى: أن الله يحب الذين إنْ رأَوْا ظُلْماً أزالوه ، وأحلُّوا محلَّه العدل.

والحق سبحانه يقول: ﴿وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾ ﴾ {النساء}

وهذه ليست خاصة للحاكم فقط ، بل إن كل إنسان مطالب بالعدل ، فلو كنتَ مُحكّماً من طرف قوم ورضُوا بك أن تحكم ، فاحكُمْ بالعدل حتى ولو كان الحكم فى الأمور التى يتعلق بها التكريم والشرف والموهبة ، فليس ضرورياً أنْ يكونَ الحكم بالعدل فى أمر له قيمة مادية.

فسيدنا على ـ رضوان الله عليه وكرَّمَ الله وجهه ـ يرى غلامين يتحاكمان إلى ابنه الحسن ، ليحكم بينهما: أى الخطين أجمل من الآخر؟

وهذه مسألة قد ينظر لها الناس على أنها مسألة تافهة ، لكنها مادامتْ شغلتْ الطفلين ، وأراد كل واحد منهما أن يكون خطُّه أجمل ، فلابُدَّ أن يكون الحكم بالعدل ، فقال الإمام على لابنه احسن :يا بنى ، انظر كيف تقضى ، فإن هذا حُكْم ، والله سائلك عنه يوم القيامة

إن هذا يعطينا صورة فى دقة العدل ، حتى ولو كان الأمر صغيراً.

قال العلماء: إذا عَلِم المجتمع أن عَدْلاً يحرس حقوق الناس عند الناس فلن يُجرِّىء ذلك ظالماً على أنْ يظلم بعد ذلك ، فيقول الظالم: فلان ظلم ولم يُحاكم ، فيغرى ذلك الظالم أن يزيد فى ظُلْمه ، لكن ساعة يرى الناس أحداً يأخذ حَقَّ غيره ، ثم جاء الحاكم فَرَدَعَهُ ، وردَّ الحق لصاحبه فلن يظلم أحدٌ أحداً.

فقولُ الحق سبحانه وتعالى:﴿وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ﴿٥٨﴾ ﴾ {النساء}

لا بُدَّ أن نأخذه على أنه مطلب تكليفى من الله للمسلمين حتى يشيع فى كل الناس ، ولا يخصّ المؤمنين ، يتعاملون به فيـما بينهم ، وإنما يشمل أيضاً ما بين المؤمنين والكافرين ، وما بين الكافـرين بعضهم مع بعض إنِ ارتضَوْا حُكْمَ رسول الله.

●●●



obeikan.com